

الأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات القرآنية في المصادر الإسلامية المعاصرة

The relationship of the Seven Letters to the Qur'anic recitations in contemporary Islamic sources

محمد إرشاد الرحمن*

الملخص

هذا البحث يهدف إلى اكتشاف تفسير الأحرف السبعة وعلاقتها بوجوه القراءات القرآنية من قبل العلماء المعاصرين المشتغلين بعلوم القرآن. واقتصر هذا البحث على علاقة الأحرف السبعة بوجوه القراءات القرآنية يعتمد على أساس أن منشأ الخلاف بين العلماء في علاقة الأحرف السبعة بالقراءات القرآنية يرجع إلى مدلول الأحرف نفسها. وبناء على ذلك، سيركز الباحث على قضية علاقة الأحرف السبعة بالقراءات القرآنية فقط بغض النظر عن علاقته بتاريخ نزول القرآن وكتابته وجمعه وتدوينه، أو علاقته باللهجات العربية. وسيعتمد الباحث على ما كتبه العلماء المعاصرون من كتبهم المخصصة بعلوم القرآن عموماً، مثل كتاب "المحرر في علوم القرآن" للدكتور مساعد الطيار، وكتاب "علوم القرآن" لإبراهيم النعمة، وكتاب "من روائع القرآن: تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل" للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (ت ٢٠١٣م)، وغير ذلك، وسيعتمد على كتبهم المخصصة لقضية الأحرف السبعة مثل كتاب "الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها: دراسة في أحاديث الأحرف السبعة، ومذاهب الأئمة فيها، وضرورتها والحكمة منها، ودحض التخرصات عنها" لضياء الدين عتر (ت ٢٠١٠م)، وكتاب "حديث الأحرف السبعة: دراسة لإسناده ومتمنه واختلاف العلماء في معناه وصلته بالقراءات القرآنية" للدكتور عبد العزيز القارئ. واختيار الباحث العلماء المعاصرين بناءً على فرضية وجود الاختلاف في طريقة عرضهم موضوع الأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات القرآنية.

* محاضر، قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية،

شيتاغونغ، بنغلاديش alershad_71@yahoo.com

الكلمات المفتاحية: الأحرف السبعة- القراءات القرآنية - علوم القرآن - رمضان البوطي-

عبد العزيز القارئ

ABSTRACT

This research aims to discover the interpretation of the Seven Letters and their relationship to the different recitations of the Qur'an according to the contemporary scholars in Qur'anic sciences. Limiting this study to the relationship of the seven letters to the different recitations of the Qur'an is based on the fact that the basis of the debate among scholars on the said issue is the meaning of the letters themselves. Accordingly, the researcher will focus on the issue of the seven letters' relationship to the Qur'anic readings only, regardless of its relation to the history of the revelation, writing, collection, and codification of the Qur'an or its relation to the Arabic dialects. The researcher will rely on what contemporary scholars wrote from their books devoted to the sciences of the Qur'an in general, such as the book "*Al Muḥarrar fi 'Ulūm Al Qur'ān*" by Dr Musā'id Al Ṭayyār, the book "*Ulūm al-Qur'ān*" by Ibrahim Al-Na'mah, and the book "*Min Rawā'i' al-Qur'ān*" by Dr Muhammad Saeed Ramadan Al-Buti (d. 2013), and others. It will depend on the books devoted to the issue of the seven letters, such as the book "*Al-Aḥruf al-Sab'ah wa Manzilat al-Qirā'at minha*" by Dia' Al-Din 'Itr (died 2010 AD), and the book "*Ḥadīth al-Aḥruf al-Sab'ah*": a study of its chain of transmission and its text and the differences of scholars in its meaning and its connection to Qur'anic readings, written by Dr Abdul Aziz Al-Qari. Contemporary scholars are selected based on the hypothesis that there is a difference in the way they explain the subject of the seven letters and their relationship to the Qur'anic readings.

Keywords: Seven Letters- Seven Qirā'āt- Sciences of Qur'an- Saeed Ramadan Al-Buti- Dr Abdul Aziz Al-Qari

المقدمة

إن الأمة الإسلامية طوال فترة نزول القرآن في الفترة المدنية متفاوتة في نطق بعض الألفاظ القرآنية، منهم من عجز على تلفظ لفظ ما أو استثقل على حرف ما ومنهم من كان على عكس ذلك. ولما كانت الحال كذلك، نزل القرآن بالأحرف السبعة تخفيفاً لهم. وهذا التخفيف والإذن في قراءة القرآن بالأحرف السبعة ليس من اجتهاد أي بشر، وهو توقيف من الله، لذلك كان هذا الإذن لا

يخلو من حكم استخراجها العلماء من مدلولات الأحاديث النبوية التي ورد فيها نزول القرآن بالأحرف السبعة. والأهمية في دراسة مثل هذا الموضوع لا تقتصر على إبراز الحكم والفوائد في مشروعية قراءة القرآن بالأحرف السبعة، بل تكمن أهمية كبيرة في مثل هذا الموضوع، وهي تتمثل في إزالة الشبهة القائلة إن القرآن قد حصل له التحريف لوجود اختلاف القراءة فيه، وفي إزالة الشبهة القائلة إن اختلاف القراءات ناتجة عن اجتهاد القراء.

رغم أننا علمنا أن القرآن نزل بالأحرف السبعة كما أخبرته النصوص الحديثية إلا أنه لم يزل يعتبر شيئاً غامضاً بل أشد لغزاً في علوم القرآن حتى قيل إنها من متشابه علوم القرآن، لأنه لم يصل إلينا أي نص صريح من الأحاديث النبوية يدل على حقيقة وماهية الأحرف السبعة بالتحديد، أعني وجه الاختلاف في هذه الأحرف السبعة، لأن في اللغة العربية كانت كلمة الأحرف تدل على معان، وأن حديث استنكار عمر بن الخطاب رضي الله عنه قراءة هشام بن حكيم رضي الله عنه سورة الفرقان الذي استشهد به جمهور العلماء على وجود الأحرف السبعة في القرآن لم يكن صريحاً في تعيين أي حرف استنكره عمر، وكذلك حديث أبي بن كعب. وفي ناحية، كانت في العالم الإسلامي ظاهرة القراءات القرآنية المختلفة.

منهج البحث

أما منهج البحث الذي سيستعين به الباحث فهو بالاعتماد على ثلاثة مناهج وهي:

١. المنهج الاستقرائي: وذلك بجمع كل ما يتعلق بهذا الموضوع من المعلومات في المؤلفات والكتابات المخصصة بالدراسات القرآنية المعاصرة.
٢. المنهج التحليلي: وذلك بتحليل كل البيانات والمعطيات التي وردت في هذا الموضوع. وهذا التحليل يتمثل في شرح تلك البيانات ونقدها واستنباطها.
٣. المنهج المقارن: وذلك بالمقارنة بين ما قدمه كل من العلماء المعاصرين من تعريف الأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات القرآنية من حيث طريقة عرضهم في الموضوع واستنتاجهم فيه.

المبحث الأول: التعريف بالأحرف السبعة عند المعاصرين

مما لا يخفى عند أهل العلم أن السيوطي في الإتقان ذكر اختلاف العلماء في معنى حديث الأحرف السبعة على نحو أربعين قولاً، ثم حرر العلماء المعاصرون في اعتبار هذه الكثرة، منهم من قال إن معظمها لا قيمة له من حيث الدليل والنظر إلا ستة أقوال،^١ ومنهم من قال إن هذه الأقوال عند التمحيص لا تتجاوز العشرة بحال،^٢ ومنهم من رتبها من حيث قوة أدلتها من الأضعف فالأقوى إلى مذاهب ثلاثة؛ المذاهب التي لا دليل عليها، والمذاهب التي لها شبهة الدليل، والمذاهب التي لها دليل في الجملة. والثالثة عبارة عن مجموعة المذاهب الثلاثة؛ المذهب الأول هو الذي يقول إن الأحرف السبعة أوجه من اللغات والقراءات، وأصحاب هذا المذهب أبو حاتم السجستاني، وابن قتيبة ومن معه مثل الباقلاني وآخرين، وأبو الفضل الرازي، وابن الجزري. والمذهب الثاني الذي يقول إن الأحرف أوجه من المعاني المتقاربة بالألفاظ المختلفة، وأصحاب هذا المذهب سفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، وابن عبد البر، والطحاوي وغيرهم. والمذهب الثالث الذي يقول إن المراد بالأحرف سبع لغات، وأصحاب هذا المذهب أبو عبيد، وأحمد بن يحيى، وثعلب، وابن عطية، والطبري.^٣ وفيما يلي أقوال العلماء المعاصرين في معنى الأحرف السبعة مقسمة إلى ثلاث مجموعات؛ مجموعة تقول إن الأحرف هي اللغات، ومجموعة تقول إنها وجوه قرائية، ومجموعة تقول إنها لهجات عربية. وهذا يعني أن ما قاله العلماء المعاصرون في تفسير الأحرف السبعة لا يخرج من أقوال العلماء القدامى.

الأحرف هي اللغات

ومن الذين قالوا إن الأحرف هي اللغات الدكتور حسين ضياء الدين عتر حيث إنه بعد حديثه عن أقوال العلماء في الأحرف السبعة وتقسيمها إلى المذاهب الثلاثة قال "فالقرآن أنزل على سبع

^١ عبد العزيز القارئ، حديث الأحرف السبعة: دراسة لإسناده ومنتنه واختلاف العلماء في معناه وصلته بالقراءات القرآنية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٢م، ط١، ص٤٢.

^٢ مساعد بن سليمان الطيار، المحرر في علوم القرآن، جدة: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ٢٠٠٨، ط٢، ص٩٣.

^٣ حسين ضياء الدين عتر، الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منه، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٨، ط١، ص١٢١-

لغات، بمعنى أنه أنزل موسعا وفق ألسنة الناطقين بهذه اللغات السبع، فغدا ميسورا لهم قراءته وترتيبه. والناطقون بهذه اللغات الفاهمون لكلماتها أو المعتادون ألفاظها، ليسوا أبناء هذه القبائل السبع فحسب، لأن اللغات العربية متداخلة، وبينها قدر كبير من الكلمات والألفاظ المشتركة"^٤، وقال "وما فصلناه هنا كاف لبيان رجحان تفسير الأحرف باللغات، على تفسيرها بالأوجه، لخلوه من المشكلات والمآخذ التي تعتور القول بالأوجه السبعة"^٥. القول بأن الأحرف هي اللغات ينتمي إلى أقوال من سبقه من أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)^٦، وثعلب (٢٩١هـ)، والأزهري (٣٧٠هـ)، وآخرين، واختاره ابن عطية وصححه البيهقي في الشعب.^٧

ويستفاد مما ذهب إليه ضياء الدين عتر أنه لا يخرج من أحد أقوال هؤلاء العلماء المتقدمين في أن الأحرف هي اللغات، إلا أنه خالف أقوالهم في بعض الأمور الدقيقة. بمعنى أنه أطلق معنى اللغات على جميع الفوارق القائمة على تلك اللغات نفسها بدون أي تحديد، بخلاف من سبقه الذي حددها بأمور. فإطلاق اللغات على جميع الفوارق يدخل فيه اختلاف أوجه الكلمة الواحدة، واختلاف الألفاظ واتفاق معانيها، واختلاف الإمالة والإشباع والتفخيم والترقيق وغيرها، واختلاف إبدال حرف مكان حرف آخر، وغير ذلك مما تختلف فيه اللغات. وهذا الخيار يقرب إلى ما قاله مكّي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) "أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن: هي لغات متفرقة في القرآن، ومعان في ألفاظ تسمع في القراءة: مختلفة في السمع متفقة في المعنى، ومختلفة في السمع وفي المعنى، نحو: تبديل كلمة في موضع أخرى وصورة الخط متفقة، أو مختلفة نحو: يَسِيرُكُمْ، وَيُنَشِّرُكُمْ، ونحو: صيحة وزقية، وزيادة كلمة ونقص أخرى، وزيادة حرف ونقص آخر، وتغيير حركات في موضع حركات آخر، وإسكان حركة، وتشديد،

^٤ المرجع السابق، ص ١٧٩.

^٥ المرجع السابق، ص ١٨٩-١٩٠.

^٦ أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تحقيق مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، بيروت: دار ابن كثير، ١٩٩٥م، ط ١، ص ٣٣٩.

^٧ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ٢٠٠٨، ط ١، ص ١٠٨.

وتخفيف، وتقديم، وتأخير، وشبه ذلك مما يسمع ويميز بالسمع".^٨ إلا أن بينهما فرقا بسيطا وهو إطلاق سبع لغات في القرآن وإجازة سبع لغات في كلمة واحدة.

والفرق بين ما قدمه هؤلاء العلماء المتقدمون مثل الرازي وأبي عبيد والطبري وغيرهم وبين ما قدمه ضياء الدين عتر في تفسير الأحرف باللغات هو إطلاق اللغات على جميع الفوارق القائمة عليها بينما هؤلاء حدودها في الفوارق القائمة على تلك اللغات. فالرازي أراد الأحرف بالأوجه السبعة من اللغات والقراءات، بينما أبو عبيد أراد من كلامه أن الأحرف هي اللغات السبع المتفرقة في القرآن وليس معناه أن الكلمة الواحدة تقرأ بتلك اللغات السبع بل هي متفرقة في القرآن، وأما الطبري فهو على عكس ما ذهب إليه أبو عبيد، إذ هو أراد اللغات بوقوعها في كلمة واحدة وليست متفرقة في القرآن.

ومن المعاصرين الذين قالوا إن الأحرف هي اللغات محمد سعيد رمضان البوطي حيث قال -ناقلا عن أقوال الجمهور كمكي بن أبي طالب، وابن قتيبة، وابن عبد البر، وابن شريح- إن الأحرف هي "لغات متفرقة في القرآن مختلفة في السمع، متفقة في المعنى، أو مختلفة في السمع وفي المعنى، وزيادة كلمة ونقص أخرى، وزيادة حرف ونقص آخر، وتغيير حركات في موضع حركات أخرى، وتقديم وتأخير، ومد وقصر، وشبه ذلك مما يتعلق بجوهر الكلمة أو كيفية أدائها".^٩

والفرق بين ما اختاره ضياء الدين عتر وما اختاره محمد سعيد رمضان البوطي هو أن الذي أراده ضياء الدين عتر هو إطلاق اللغات على جميع الفوارق القائمة عليها، فأى كانت الفوارق التي تقوم على تلك اللغات فهي من جملتها اختلاف اللغات، ويدخل فيها اختلاف القراءة في كلمة واحدة، ولا يعين هذه اللغات السبع ويكفيه أن اعتقد أن هذه اللغات من أفصح اللغات العربية. بخلاف البوطي فإنه أراد من التعريف بالأحرف باللغات كونها متفرقة في القرآن، وليس معناه سبع لغات في كلمة واحدة تقرأ بسبع لغات مختلفة.

^٨ مكي بن أبي طالب، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شليبي، دار النهضة، ص ٧١-٧٢.

^٩ محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن: تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، جدة: دار الفارابي، ٢٠٠٧،

الأحرف هي وجوه القراءة

ومن المعاصرين من قال إن الأحرف هي وجوه قرائية، منهم عبد العزيز القارئ حيث قال في سياق حديثه عن تعريف الأحرف السبعة هي "وجوه متعددة متغايرة منزلة من وجوه القراءة، يمكنك أن تقرأ بأي منها فتكون قد قرأت قرآنا منزلا، والعدد هنا مراد، بمعنى أن أقصى حد يمكن أن تبلغه الوجوه القرآنية المنزلة هو سبعة أوجه، وذلك في الكلمة القرآنية الواحدة، ضمن نوع واحد من أنواع الاختلاف والتغاير، ولا يلزم أن تبلغ الأوجه هذا الحد في كل موضع من القرآن".^{١٠} ونقل هذا التعريف مساعد الطيار.^{١١} لكن هذا التعريف بالنسبة لأقوال السابقين لم يعرف إلى أي شخص نسب هذا التعريف، وأقرب ما علمناه في مثل هذا التعريف هو الذي أشار إليه السيوطي في القول الثالث والرابع في الإتيان، فقال "الثالث: إن المراد بها سبع قراءات، وتعقب بأنه لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا القليل، مثل (وعبد الطاغوت) و(فلا تقل لهما أف). والرابع: وأجيب بأن المراد كل كلمة تقرأ بوجه أو وجهين أو ثلاثة أوجه أو أكثر إلى سبعة، ويشكل على هذا أن في القرآن ما قرئ على أكثر، وهذا يصلح أن يكون قولاً رابعاً".^{١٢}

ويفترض من هذا التعريف أن يكون في المصحف استيعاب الأحرف السبعة خلافاً لمن قال إن المصحف الحالي تضمن فيه حرف واحد فقط، بمعنى أنه ليس ممن قال إن عثمان أبقى حرفاً واحداً وترك الستة الأخرى. لذلك رأى الطيار أن الأحرف السبعة موجودة في وجوه القراءات. ولما فحص الاختلافات الواردة في القراءات القرآنية من خلال القراءات المشهورة وجد أن الاختلافات بلغت إحدى عشرة نوعاً، وهذه الاختلافات بعضها يرجع إلى الأداء وبعضها يرجع إلى الرسم. واستخلص من ذلك أن الأحرف السبعة بعضها لم تنزل موجودة في مصحفنا الحالي. وحجتهما في

^{١٠} عبد العزيز القارئ، حديث الأحرف السبعة: دراسة لإسناده ومنتها واختلاف العلماء في معناه وصلته بالقراءات القرآنية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٢م، ط١، ص ٦٥.

^{١١} مساعد بن سليمان الطيار، المحرر في علوم القرآن، جدة: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ٢٠٠٨، ط٢، ص ٩٣.

^{١٢} جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ٢٠٠٨، ط١، ص ١٠٥.

تأويل الأحرف إلى الأوجه "لأن ألفاظ الأحاديث تدل على أن هذه الأحرف شيء متعلق بالقراءة".^{١٣}

الأحرف هي اللهجات

ومن المعاصرين الذين قالوا إن الأحرف هي ما تشمل اللهجات عبد الصبور شاهين حيث إنه بعد أن قام بملاحظاته على نصوص الأحرف السبعة قال "فالذي نرجحه في معنى الأحرف السبعة ما يشمل اختلاف اللهجات، وتباين مستويات الأداء الناشئة عن اختلاف السن، وتفاوت التعليم، وكذلك ما يشمل اختلاف بعض الألفاظ، وترتيب الجمل بما لا يتغير به المعنى المراد".^{١٤} هذا الترجيح ورد بعد أن استفاد من كل الأحاديث أن النصوص تدل على أن الأحرف السبعة وقعت في الفترة المدنية، وأن الأسباب التي ورد بها الإذن بالأحرف السبعة مختلفة، إما بسبب اختلاف اللغة، وإما اختلاف المفردات، وإما الاختلاف الناشئ عن العجز في النطق لصغر السن أو للشيوخوخة أو للجهل، وغير ذلك مما أشار إليه ظاهر الأحاديث، وأن هذا الإذن غير مطلق، بحيث إنه لا يجوز لكل فرد أن يقرأ القرآن بجميع الأحرف السبعة وإنما على حسب تلقين النبي إياه، وبحيث إن هذا الإذن ورد مع الأسباب وإذا انتفت الأسباب زال الإذن.

والذي لاحظت مما سبق ذكره أن عبد الصبور شاهين رغم أن ترجيحه يشمل اللهجات إلا أن هذا الترجيح أعم من الترجيح القائل بأن الأحرف هي اللهجات المحض. ولأن شاهين لم يحدد اللهجات التي أرادها في ترجيحه، هل هي جميع لهجات المسلمين في بقاع الأرض نظراً إلى أن في الفترة المدنية جاءت إليها الوفود والأقوام من شتى أنحاء الجزيرة العربية وغيرها مع اختلافهم في الألسنة واللهجات أو اللهجات العربية الأفضح؟. وأن ما رجحه شاهين من تأويل الأحرف إلى اللهجات لا يقصر على اللهجات فقط، بل يشمل كل ما أشار إليه أغلب دلالة الأحاديث من اختلاف الأداء، والألفاظ، وترتيب الجمل تقديمها وتأخيرها، وزيادة حرف

^{١٣} مساعد بن سليمان الطيار، المحرر في علوم القرآن، جدة: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ٢٠٠٨، ط ٢، ص ٩٣.

^{١٤} عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، نَهضة مصر، ٢٠٠٧، ط ٣، ص ٦٧.

ونقصها، وغير ذلك من الاختلافات التي لا يتغير بها المعنى. ولذلك كان عبد الصبور شاهين مال إلى القول إن السبعة غير مرادة لذاتها، لأن الهدف من الأحرف السبعة هو التوسعة، وقال "وإذا كانت الأحاديث الواردة في الباب لم تحدد تحديدا قاطعا المراد بها، وبتخصيص العدد بسبعة، فليس لنا أن نحس بهذا المراد، وخير برهان على دلالة العدد هنا غير مرادة لذاتها أن الصحابة - وهم أكثر الناس معاناة للمشكلة - كانوا يتقبلون الأمر على أنه من باب التوسعة والتيسير".^{١٥}

ومن المعاصرين الذين قالوا إن الأحرف هي اللهجات إبراهيم النعمة حيث قال "والذي نراه راجحا: إن المراد بالأحرف السبعة هو اختلاف اللهجات، فقد نزل القرآن بعدد من لهجات العرب"^{١٦} إلى أن قال "والذي يجعلنا نجح إلى هذا الترجيح: أن عددا من الصحابة قد اختاروا من القراءات التي سمعوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوافق لهجاتهم. فليس لأحد أن يقرأ القرآن بلغته كما يشاء ويهوى، إذ لو حصل ذلك لرأينا في القراءات العيوب الكثيرة في بعض اللهجات التي نقدها الفصحاء والبلغاء مثل الكشكشة في ربيعة ومضر، والعننة في لغة قيس وتميم".^{١٧} ويستفاد من هنا أن إبراهيم النعمة يخالف عبد الصبور شاهين في تحديد اللهجات، فإذا كانت اللهجات التي أرادها شاهين يمكنها أن تدخل فيها اللهجات غير العربية، فإبراهيم النعمة أراد اللهجات باللهجات العربية الفصيحة، وذلك باعتبار أن القرآن لغته فصيحة، لولا كذلك لبطل القول إن القرآن عربي مبين.

زيادة الكلام

تبين مما سبق ذكره أن أقوال العلماء المعاصرين في الأحرف السبعة لا تخرج عما ذهب إليه المتقدمون، وأنها تقتصر على ثلاثة مذاهب، المذهب الأول يقول إن الأحرف هي اللغات، وإلى هذا ذهب حسين ضياء الدين عتر، ومحمد سعيد رمضان البوطي، مع اختلاف بينهما

^{١٥} عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، نخضة مصر، ٢٠٠٧، ط ٣، ص ٦٧.

^{١٦} إبراهيم النعمة، علوم القرآن، ٢٠٠٨، ط ٢، ص ٥٥.

^{١٧} المرجع السابق، ص ٥٦.

في بعض الأمور. والمذهب الثاني يقول إن الأحرف هي وجوه قرائية في كلمة واحدة، وإلى هذا ذهب عبد العزيز القارئ ومساعد بن سليمان الطيار. والمذهب الثالث يقول إن الأحرف هي اللهجات، بمعنى أن الأحرف تناولت اختلافات اللهجات العربية في نطق بعض الألفاظ، وإلى هذا ذهب عبد الصبور شاهين وإبراهيم النعمة مع وجود اختلاف بينهما في تفصيل بعض الأمور.

أما المذهب الأول فهو يدور حول القولين؛ القول يذهب إلى أن سبع اللغات متفرقة في القرآن، والقول الآخر يذهب إلى أن سبع اللغات تقع في كلمة واحدة. والذي قال إن سبع اللغات متفرقة في القرآن فهو يحصرها على لغة قريش، وهذيل، وهوازن، واليمن، وغيرها مما نصت عليه الأحاديث، مثل حديث عثمان رضي الله عنه في شأن نسخ القرآن. وهذا يشعر إلى أن القرآن متكون ومتألف من سبع اللغات العربية مع أغلبية لغة قريش، لكن هذا القول متعارض من حديث استنكار عمر قراءة هشام في سور الفرقان، وبما أن هذا القول لا يراعي الهدف الرئيسي من مشروعية إنزال القرآن بالأحرف السبعة وهو التوسعة والتخفيف، لأنه لو كانت هذه اللغات متفرقة في القرآن، فلا يتحقق هذا الهدف. والذي قال إن سبع اللغات وقعت في كلمة واحدة فإنه يراعي إلى دلالة بعض الأحاديث، مثل حديث عمر بن الخطاب، وأبي بكر، وأبي بن كعب وغيرهم مما يفيد إلى أن الأحرف يعني بها وقوعها في كلمة واحدة مع اتفاق المعاني واختلاف الألفاظ، ويراعي إلى تحقيق التوسعة من مشروعية إنزال القرآن بالأحرف السبعة. وبخصوص ما رجحه ضياء الدين عتر فإنه مال إلى المذهب القائل إن سبع اللغات يقع في كلمة واحدة، وهذا مثل ما ذهب إليه الطبري، لكنه لا يحدد سبع اللغات باتفاق المعاني واختلاف الألفاظ، وإنما دخل في هذه اللغات كل الفوارق مثل الفوارق التي قالها مكّي بن أبي طالب. أما البوطي فإنه جنح إلى من قال إن هذه اللغات متفرقة في القرآن. أما المذهب الثاني القائل إن الأحرف هي وجوه قرائية فإنه لا يعتبر اللغات أو اللهجات العربية التي قصدتها أصحاب المذهب القائلين إن الأحرف هي اللغات أو اللهجات العربية. ولا يقتصر على مفهوم الأحرف بالكلمات المترادفة مثلما قصد المذهب القائل إن الأحرف

هي اللغات كهلم، وتعال، وإلينا، وأقبل. ويرى أن دلالة الأحاديث تدل على أن المراد بالأحرف هو وجوه القراءات، لأنه لو لا تأويل الأحرف إلى وجوه القراءة لما تحققت الرخصة، وبهذا تتضح أن المشقة واضحة. وبما أن وجوه القراءات يمكنها مطابقة لغة أو لهجة من لقنه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن.

أما المذهب الثالث القائل إن الأحرف هي اللهجات العربية فإنه ينظر إلى كيفية تلقي الصحابة القرآن الكريم من رسول الله ﷺ، إذ أنه عليه الصلاة والسلام لما لقن القرآن صحابته اختار منهم ما يوافق ما تيسر من لهجته.

المبحث الثاني: التعريف بالقراءات القرآنية عند العلماء المعاصرين

القراءات القرآنية وأقسامها

اتفق العلماء القدامى والمعاصرون في أن القراءات القرآنية تخالف الأحرف السبعة، بمعنى أنها ليست مرادة في أحاديث الأحرف السبعة، رغم أن هناك من ظن الأحرف السبعة هي القراءات السبع، ثم اعترض هذا القول على أن سبب من قال مثل هذا هو اللبس والجهل. قال إبراهيم النعمة فيما نقل عن أبي شامة في سياق حديثه عن القراءات السبع "ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل".^{١٨} وإنما وقع الخلاف بين العلماء هل بقيت الأحرف السبعة في مصحفنا الحالي؟ وفي جانب أن القرآن بمصحفنا الحالي تعثره الاختلافات في القراءة، ولذلك يحسن بنا أن نعطي أولاً التعريف للقراءات القرآنية.

جاء التعريف بالقراءات من قول الزركشي (ت ٧٩٤هـ) "واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات

^{١٨} إبراهيم النعمة، علوم القرآن، ٢٠٠٨، ط ٢، ص ٥٩. وانظر جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٠٧٤م، ج ١، ص ٢٧٤.

هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كفيئتها من تخفيف وتثقل وغيرهما".^{١٩} على أساس هذا التعريف يتضح الاختلاف بين الأحرف السبعة والقراءات القرآنية. وكذلك قول ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) "علم القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلاف بعزو الناقله"^{٢٠} يبين اختلاف القراءات من الأحرف السبعة التي ذكرتها الأحاديث. وبما أن القراءات هي كيفية أداء ونطق بعض الكلمات القرآنية بمراعاة الخط الذي كتب به القرآن، ومراعاة عزو القراءة إلى ناقلها شفهيًا. هذا بالنسبة ما قاله العلماء القدامى من تعريف القراءات القرآنية. أما القراءات القرآنية في نظر بعض العلماء المعاصرين فلا يكادون لا يختلفون في هذا التعريف. قال عفيف الدين دمياطي في سياق حديثه عن تعريف القراءات إنها "مذهب يذهب إليه إمام من الأئمة القراء مخالف به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه" إلى أن قال "واختلاف القراءات منشؤها اختلاف في اللهجات وكيفية النطق وطرق الأداء من تفخيم، وترقيق، وإمالة، وإدغام، وإظهار، وإشباع، ومد، وقصر، وتشديد، وتخفيف .. إلخ"،^{٢١} وكل هذه الاختلافات تحت طريق التلقي عن واحد إلى آخر إلى النبي ﷺ. هذه القراءات القرآنية قسمها العلماء إلى ستة أقسام، متواتر، ومشهور، وآحاد، وشاذ، وموضوع، وما يشبه المدرج.^{٢٢} فالمتواتر هو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه، والمشهور ما صح سنده ولم يبلغ درجة المتواتر ووافق العربية والرسم، والآحاد ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية ولم يشتهر كاشتهار المشهور، والشاذ ما لم يحص سنده، والموضوع ما لا أصل له، والمدرج ما زيد في القراءات على وجه التفسير.^{٢٣}

^{١٩} أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م، ط ١، ج ١، ص ٣١٨.

^{٢٠} شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م، ط ١، ص ٩.

^{٢١} محمد عفيف الدين دمياطي، موارد البيان في علوم القرآن، سيدورجو، مكتبة لسان عربي، ٢٠١٦، ط ٤، ص ٥٣-٥٥.

^{٢٢} حسين ضياء الدين عتر، الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منه، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٨، ط ١، ص ٢٩٥-٢٩٦.

^{٢٣} محمد عفيف الدين دمياطي، موارد البيان في علوم القرآن، سيدورجو، مكتبة لسان عربي، ٢٠١٦، ط ٤، ص ٥٦.

وعلى حسب هذا التقسيم، فالقراءات التي تجوز قراءتها عند العلماء هي المتواترة والمشهورة، لأنهما تعتبران متوفرتي الشروط أي شروط القراءة الصحيحة التي وضعها العلماء، كصحة السند، وموافقة العربية، وموافقة خط أحد المصاحف العثمانية. قال ابن الجزري "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عن من هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف".^{٢٤} من خلال هذه الشروط اتضح أن القراءات القرآنية الصحيحة توافق المصحف العثماني، وليست هي الأحرف السبعة التي أشارت إليها الأحاديث.

بين القراءات القرآنية والأحرف السبعة

تبقى المسألة في علاقة القراءات القرآنية بالأحرف السبعة أن تحمل مجموعة من الأسئلة، منها هل القراءات الموجودة هي من ضمن حرف واحد؟ أو هي مستقلة على الأحرف؟ إن قلنا إن القراءات هي من ضمن الحرف الواحد فيحتمل أن تكون الأحرف الستة لها قراءات مختلفة أيضاً، وإن قلنا إن القراءات مستقلة عن الأحرف فمعناه أن القراءات شيء والأحرف شيء آخر. وأركز فيما يلي قول ضياء الدين عتر وعبد العزيز القارئ.

أولاً، حسين ضياء الدين عتر

بعد أن سرد مذاهب العلماء المتقدمين في هذه المسألة، شرع في تحقيق هذه المسألة من خلال رأيه. حيث إنه رأى أن المصحف الحالي تضمن فيه أكثر من حرف واحد، فالمصحف الحالي تضمنت فيه بقية الأحرف السبعة ما دام القراءات متوفرة الشروط أي القراءات الصحيحة، وهي صحيحة الإسناد، وموافقة الخط فهي من جملة الأحرف السبعة. ولا تلزم هذه القراءات شمول كل ما في الأحرف السبعة من وجوه الاختلافات. واعتبر الأحرف السبعة مصدراً للقراءات القرآنية

^{٢٤} ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٩.

الصحيحة، لأن علاقتهما هي العموم والخصوص. ولذلك قال "إن الأحرف السبعة مصدر القراءات المقطوع بصحتها، إن القراءات المقطوع بصحتها هي الأحرف السبعة قطعاً، إن القراءات الموافقة لخط المصحف وغير متوفرة الشروط ليس من الأحرف السبعة، إن القراءات الصحيحة الإسناد المخالفة لخط المصحف ليس من الأحرف السبعة".^{٢٥} والخلاصة أن علاقة القراءات القرآنية بالأحرف السبعة عند ضياء الدين عتر هي علاقة بين العموم والخصوص وبين المصدر والفرع، فالقراءات تابعة للأحرف السبعة، متى صحت إسناد هذه القراءات، ووافقت خط المصحف فهي من الأحرف السبعة، وإذا انتفى أحدهما في القراءات فليس لها في الأحرف السبعة من سبيل. وعلى حسب الأسئلة المطروحة السابقة أن الرأي الذي اختاره ضياء الدين عتر يقطع به أن القراءات هي شيء والأحرف هي شيء آخر، لكن بينهما علاقة كعلاقة الخصوص والعموم. وما رأى أن عثمان أبقى حرفاً واحداً وترك الستة الباقية في نسخه القرآن إلى المصاحف.

ثانياً: عبد العزيز القارئ

بخلاف ما قاله عبد العزيز القارئ فإنه ابتعد عن القول إن كل ما خالف الرسم فإنه ليس من الأحرف السبعة، واعتبر هذا القول قولاً محظوراً، لأن هذا القطع محل التحقيق، إذ أن هناك كثيراً من القراءات التي تخالف الرسم لكنها صحت إسنادها عن الصحابة رضي الله عنهم وعن النبي عليه الصلاة والسلام، والقضية محققة في باب النسخ. قال عبد العزيز القارئ "والحق الذي يعرفه كل محقق، أن ما ثبت في هذه العرضة من أحرف القرآن، والذي يمثل الصيغة الكاملة الأخيرة للقرآن قد كتب كله في المصاحف العثمانية ولم يترك منه شيء، وقد اتفق المحققون على أن ما رواه الأئمة العشرة قد استوعب كل هذه الأحرف، واتفقوا على أن ما رواه غيرهم زائداً على ما رووه

^{٢٥} حسين ضياء الدين عتر، الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منه، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٨، ط ١،

بجملتهم إما شاذ أو منكر أو ضعيف أو موضوع^{٢٦}. وهذا الموقف ينسجم مع تأويل الأحرف إلى وجوه قرائية في كلمة واحدة.

الخلاصة

إذا كانت التعاريف للأحرف السبعة عند العلماء القدامى - حسب ما ذكره السيوطي الذي أوصله إلى أربعين قولاً - لم تكن تستند على دليل قوي إلا أقوال قليلة اعتبرها العلماء المعاصرون قائمة على أدلة قوية، فالتعاريف للأحرف السبعة عند العلماء المعاصرين لم تكن تخرج عن هذه الأقوال مع إضافة شيء من التوضيح، وفرق بسيط في بعض الأمور. وعلى حسب ما ذكرنا - سابقاً - أن التعاريف للأحرف السبعة عند العلماء المعاصرين تتلخص في الثلاثة؛ أولاً تأويل الأحرف إلى اللغات، وثانياً تأويلها إلى الوجوه القرائية، وثالثاً تأويلها إلى اللهجات العربية. رغم أنهم اختلفوا في اعتبار الأحرف لغات، أو وجوها قرائية، أو لهجات عربية، لكنهم اتفقوا على أن وجوه الاختلافات القائمة على كل من اللغات، والوجوه القرائية، واللهجات، وقعت في الكلمة الواحدة.

أما بالنسبة للقراءات القرآنية فإنهم لا خلاف مع ما قدمه العلماء القدامى في تعريفها واعتبارها مخالفة للأحرف السبعة وليست مرادة لها، وكما اتفقوا في أن القراءات وصلتنا على طريقة التلقي والمشاهدة والرواية، وليست على طريقة اجتهادية من اختلاف قراءة خط المصحف الخالي من النقط والشكل، إذ أن من شروط القراءات الصحيحة أن تكون القراءة صحيحة السند، ومتفقة خط المصحف العثماني، والعربية. وهذه الضوابط أثبتها العلماء القدامى لكي يجمع المصحف عدداً من الأحرف السبعة، ويمنع ما هو ليس بقرآن. وعلى حسب هذه الضوابط، فالقراءات مع جميع أقسامها التي تجوز قراءتها هي المتواترة والمشهورة، وهيا عبارة عن القراءات العشر.

وبالنسبة لعلاقة الأحرف السبعة بالقراءات فإن العلماء المعاصرين ينطلقون من قضية الخط الذي كتب به القرآن في عهد عثمان رضي الله تعالى عنه، إذ لو أن عثمان رضي الله عنه أبقى

^{٢٦} عبد العزيز القارئ، حديث الأحرف السبعة: دراسة لإسناده ومنتنه واختلاف العلماء في معناه وصلته بالقراءات

القرآنية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٢م، ط١، ص١١٧.

حرفا واحدا وترك الباقي الست، فمعناه أن القراءات إما أن تكون شيئا منفصلا عن الأحرف السبعة، وإما أن تكون واردة في كل حرف من الأحرف السبعة. ولذلك، كان العلماء المعاصرون يكادون يتفقون على أن الخلفية الثالث عثمان رضي الله عنه ما ترك حرفا واحدا، بل أكثر من واحد.

REFERENCES

- Al-Būṭī, Muḥammad Sa'īd Ramaḍān. (2007). *Min Rawā'i' al-Qur'an: Ta'ammulāt 'ilmīyyah wa-adabīyyah fī Kitāb Allāh 'azza wa-jall*. Riyadh: Dār al-Fārābī.
- Dimyāṭī, Muḥammad 'Afif al-Dīn. (2016). *Mawārid al-bayan fī 'Ulūm al-Qur'ān*. Abha, KSA: Maktabat Lisān al-'Arabi.
- Ibrahim al-Na'mah. (2008). *'Ulūm al-Qur'ān*. n.p. published by the author.
- 'Itr, Husain Diya uddin. (1988). *Aḥruf al-sab'ah wa-manzilat al-qirā'āt minhu*. Beirut: Dār al-Bashā'ir al-Islāmīyyah.
- Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī. (2008). *al-Itqān fī 'ulūm al-Qur'ān*. Ed. Shu'aib Arna'ut. Beirut: Mu'assasat al-Risālah.
- Al-Jazarī, Shams al-Dīn Abul Khair. (n.d.). *al-Nashr fī al-qirā'āt al-'ashr*. Ed. 'Alī Muḥammad al-Ḍabbā'. Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyyah.
- _____. (1420/1999). *Munjid al-muqri'īn wa-murshid al-ṭālibīn*. Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyyah.
- Makkī bin Abī Ṭālib. (n.d.). *al-Ibānah 'an Ma'ānī al-qirā'āt*. Mansurah: Dār al-Nahḍah.
- Al-Qāri', 'Abd al-'Azīz. (2002). *Ḥadithu al-aḥruf al-sab'ah: dirāsah li isnādihi wa-matnihi wa ikhtilāf al-'Ulamā' fī ma'nāhu, wa ṣilatuhu bi al-qirā'āt al-Qur'ānīyyah*. Beirut: Mu'assasat al-Risālah.
- Al-Qasim bin Salam, Abu 'Ubaid. (1995). *Faḍā'il al-Qur'ān*. Beirut. Dar ibn kathir.
- Shāhīn, 'Abd al-Ṣabūr. (2007). *Tārīkh al-Qur'ān*. Mansurah, Egypt: Nahḍat Miṣr.
- Al-Ṭayyār, Musā'id ibn Sulaymān. (2008). *al-Muḥarrar fī 'ulūm al-Qur'ān*. Jeddah: Markaz al-Dirāsāt wa-al-Ma'lūmāt al-Qur'ānīyyah.
- Zarkashi, Abu Abdullah Badr al-Dīn. (1957). *al-Burhān fī 'ulūm al-Qur'ān*. Dār Iḥyā' al-Kutub al-'Arabīyyah.